المحاضرات الأثرية

١٣٣٥

المحاضرة الرابعة

جامع احمد بن طولون

تأليف



المفتش بلجنة حفظ الآثار العربية

بوزارة الاوقاف

الطبعة الاولى

سنة ١٣٣٥ هجرية — ١٩١٧ ميلادية

« مطبعة الترقي بالمنشية قسم الخليفة بمصر »

مهداة الى المكتبة الجامعة العثمانية بحيدر اباد الدكن بالهند اعترافا بالفضل والكلمة من المؤلف

يوسف احمد

١٢ محرم ١٣٤٧
١ يوليو ١٩٢٨

٥٢ ف بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

وبعد — فهذه هي المحاضرة الرابعة من مجموعة المحاضرات الأثرية التي القيتها على بعض حضرات مدرسي وطلبة المدرسة الخديوية اثناء زياراتهم للاماكن الاثرية العربية . وموضوعها التكلم عن « جامع احمد بن طولون »

ولما كانت ترجمة حياة ابن طولون ذلك الامير العظيم من اهم الدروس التاريخية لانه خطى بمصر خطوة واسعة في سبيل الحضارة والرقى الادبي حتى تمكن من استقلالها — افردت لها ملحقا خاصا تابعا لهذه المحاضرة . وستكون المحاضرة التالية له عن الجامع الازهر ان شاء الله

جامع أحمد بن طولون

هو ثالث جامع بني للجمعة والجماعات (١) وعرف بالجامع الجديد

١ — الشروع في بنائه

شرع الامير أبو العباس أحمد بن طولون فى بنائه سنة ٢٦٣ الهجرية بعد أن بنى القطائع (٢) وقدر له ثلاثمائة عمود . فقيل له

(١) قد بينت اسباب تعدد الجمعة فى الجوامع بمصر فى المحاضرة التى وضعتها عن جامع عمرو

(٢) اختلف المؤرخون في تاريخ الجامع واقوالهم تدور بين سنى ٢٥٦و٢٦٦ والصواب انه ابتدئ فيه في سنة ٢٦٣ وانتهى منه فى سنة ٢٦٥ والقطائع قطع من الارض كان يسكنها عبيد ابن طولون وغلمانه وعساكره . وكل قطيعة كانت لطائفة تسمى بهم بمنزلة الحارات التى بالقاهرة . وقد عمرت عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والشوارع و بنيت فيها المساجد والاسواق وما يتبعها فصارت كأنها مدينة كبيرة بها ماينيف عن مائة الف دار وموضعها الآن المنطقة التى بها المذشية وشارع وحارات الخليفة وشوارع طولون وحاراته الى مايقرب من زين العابدين . وقد استمرت هذه القطائع زاهية الى ان حرقها فى سنة ٢٩٢ محمد بن سليمان وهدم القصر وقلع اساسه واخرج بقية اولاد ابن طولون وكانوا عشرين انسانا واخرج قوادهم فى ذلة واهانة . فسبحان

لاتجدها الا اذا أرسلت الى الكنائس في الارياف والضياع الخراب فتحملها منها. فانكر ذلك ولم يختره وتفكر في الامر. فبلغ المهندس المصرى المسيحى الذى بنى له السقاية (١) ذلك الخبر. فكتب

من له الدوام المطلق يعز من يشاء ويذل من يشاء

(١) هى ساقية وقناطر تمتد من بركة الحبش (جهة البساتين) الى القرافة الكبرى . والسبب فى بنائها ان ابن طولون مر يوما بمسجد الاقدام بالقرافة وقد كده العطش وكان فى المسجد خياط. فقال ياخياط اعندك ماء ؟ فقال نعم . فاخرج له كوزا وقال اشرب ولا تمد. (اي لاتشرب كثيرا) فتبسم الامير وشرب كثيرا. ثم قال : يافتى سقيتنا وقلت لاتمد. فقال نعم اعزك الله موضعنا هاهنا منقطع وانما اخيط جمعتى حتى اجمع ثمن راوية ماء (قربة) . فقال له والماء عندكم معوز ؟ فقال نعم. فمضى ابن طولون وارسل الى الخياط وقال له سر مع المهندسين حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء . وهذه الف دينار خذها وابتدئ فى العمل . ورتب للخياط عشرة دنانير شهريا فتم العمل وظلت مفتوحة ليلا نهارا

قال الامير للمهندس المعماري اذا فرغت من العمل فاخبرنى لنركب فنراها. فقال له يركب الامير فى الغد فقد فرغت . ثم ذهب فرأى موضعا يحتاج الى قصرية جير واربع طوبات فبادر الى عمل ذلك واقبل الامير يتأمل العين فاستحسن جميع ماشاهده فيها . ثم اقبل الى

الي الامير يقول (أنا أبنيه لك كما تحب بلا عمد الاعمودى القبلة)
وكان حاذقا ماهرا باساليب العمارة حسن الهندسة ـ فاحضره الامير
وتكلم معه فاستحضر جلودا صور له منها الجامع فاستحسنه . وأطلق
له مائة الف دينار للنفقة عليه موقتاً

الموضع الذي فيه القصرية ووقف عليها صدفة فلرطوبة الجير غاصت
يد الفرس فيه فسقط ابن طولون . واسوء ظنه فدر ان ذلك مكيدة
من المهندس البناء . فامر به فشق عنه ماعليه من الثياب وضرب
خمسمائة سوط ثم حبس فى المطبق (قمينة الجير) وقد كان توقع من
الجائزة مثل ذلك دنانير . فقام فى السجن الى ان اراد الله سبحانه
وتعالى كشف كربته فارسل ابن طولون اليه ابناء الجامع وكاد من
أمره انه لماتم وصلى فيه الامير اول صلاة صعد هذا المهندس ووقف
الى جانب المركب النحاس التي اعلى الفوارة بوسط الصحن وطلب
الامان والجائزة من الامير فأمنه وخلع عليه واعطاه عشرة آلاف
دينار واجرى له مرتبا شهريا حتى مات

ولما تمت بلغ الامير ان بعض الفقهاء لايحل شرب مائها تورعا
منهم لعدم معرفتهم مصدر المال الذي بنيت به . فارسل رسولا الى
ابن عبدالحكم الفقيه يدعوه اليه ليلا . قال الفقيه . فركبت مذعورا
فعدل بي الرسول عن الطريق . فقلت أين تذهب بي ؟ فقال الى
الصحراء والامير فيها . فايقنت بالهلاك وقلت للرسول . الله الله فى

شرع المهندس فى البناء فى الموضع الذى فيه الجامع وهو جبل يشكر (١) فكان ينشر الحجر ويعمل منه الجير ويه الى ان فرغ من جميعه وبلطه وبيضه وعمل فيه المنبر والمحراب والمناور الجص الكثيرة الحسن الدقيقة الاشكال . ونقش سوراً وآيات قرآنية على ايزار السقف وطيبه وفرشه وعلق فيه السلاسل والقناديل الحسان

فانى شيخ كبير فارحمنى . فقال لى احذر ان يكون لك فى السقاية قول . فسرت حتى نزلت امام الامير وسلمت عليه فلم يرد على . فقلت أيها الامير . الرسول اعنتنى كثيرا وقد عطشت فيأذن لى الامير فى الشرب . فاراد الغلمان ان يسقونى فقلت أنا آخذ لنفسى فاستقيت وهو يرانى وشربت كثيرا حتى كدت انشق . ثم قلت . سقاك الله من انهار الجنة فلقدارويت واغنيت ولاأدرى ما أصف . أطيب الماء فى حلاوته وبرده . ام صفائه ام طيب ريح السقاية ؟ قال فنظر الى وقال . انك لامر وليس هذا وقته

. . ت النفقة عليها . ٤ الف دينار . اه مقريزى

(١) يشكر اسم رجل من لخم . قال القضاعى وابن دقماق ان يشكر بن جديلة من لخم « قبيلة من قبائل العرب » اختطت عند فتح بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر . وقال ابن الزيات كان يشكر رجلا صالحا وكان له بيت ادخل فى جامع ابن طولون . وروى أيضا ان الجامع قطعة من الجبل المقدس .

وحمل اليه صناديق المصاحف . (١) وعمل فى مؤخر الجامع من الجهة الغربيـة ميضأة وخزانة شراب (صـيدلة) فيها جميع الشرابات

وقال السيوطى . انه جبل كان يصلى عليه التابعون والصالحون .
وقد اشار ابن الصلاح على ابن طولون ان يبنى جامعه عليه
وقال المقريزى عن ابن عبدالظاهر ان يشكر مكان مبارك مشهور باجابة الدعاء . وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات . وعلى هـذا الجبل كانت تنصب المجانيق التى تجرب قبل ارسالها الى الثغور . اه

وبجوار هـذا الجبل جبل الـكبش ولمـا اختط المسلمون مدينة الفسطاط صارالـكبش من جملة خطة الحمراء القصوى . والكبش فى اللغة فحل الضأن وكبش القوم رئيسهم وسيدهم وكبش الجيش قائده وحاميه . ويظهر ان الجبل سمى كذلك لارتفاعه ولانه يحمى قومه ويشرف على جهات عدة

اما ماورد في كتب مرشدى الزوار الاجانب من ان موضع الجامع فى النقطة التى ضحى فيها الخليل ابراهيم عليه السلام الكبش فداء عن ولده الذبيح اسماعيل فمحض اختـلاق لان ضحية الكبش كانت فى منى وهى موضع فى الحجاز

(١) وقد ارسل الحاكم بامر الله الفاطمي الى هذا الجامع ٨١٤ مصحفا للقراءة

والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة

وقد عمل منارة في مؤخره وبلغ جميع ما انفق عليه نحو ١٢٠ الف دينار ·

٢ — هندسة البناء

ومما أوجده هذا المهندس البارع فى البناء العقود الستينية وهى الاولى من نوعها ان لم تكن عقود الشبابيك التى يصل منها الماء الى قاعة النيل (المقياس) المبنى قبيل بناء الجامع بسنوات سابقة عليها·(١)

وبناء هذا الجامع هوالوحيد الذى بقى منذ الف وسبعين سنة لم يغيره كر الدهور والاعوام وبه الى الآن بقايا صالحة لم تعبث بها يد الزمان يستدل منها على أن العمارة بلغت من الشأو عند العرب مالم تبلغه عند الامم الغربية — انظر اللوحة الاولى — .

وقد صار هذا الجامع نموذجا لاكثر الجوامع التى انشئت بعده

وقال حضرة صاحب السعادة استاذنا العلامة هرتس باشا باشمهندس لجنة حفظ الآثار العربية سابقا عن هذا الجامع مايأتى

«والذى يهمنا فيه هو مفصلات ابنيته. فبناؤه من الآجر المجصص ودعائمه بها فى النواصى الاربع عمد في البناء قواعدها على نسق القواعد القديمة وتيجانها على شكل نواقيس . والزخارف التي تتحلى بها تيجانه

(١) بينت ذلك فى المحاضرة التى القيت عن قاعة النيل

التيجان على هيئة ورق انبات المسمى بشوك اليهود التي تشاهد على تيجان العمد القديمة

ومن هذا الوصف المختصر يعرف المصدر الذى كان يستقى منه بناؤو العرب الاول في الديار المصرية . فان لم يكن ماقدمناه شاهدا معززا لرأينا نذكر أيضا العصابات التى من الطرز اليوناني الحافة بالعقود والعصابة المتخذة من الفسيفساء فوق المحراب (١) ثم أعمدة القبلة وغير ذلك من التفاصيل

ولا شك ان هذا الجامع الفخيم لم يبرز الي عالم الوجود دفعة واحدة كما هو من غير ان يكون له سابق . لانا لانصدق ان مثل هذا الشكل العجيب يبرز من قريحة مبتدعه كما خلق الله الخلق على غير مثال . بل الذى يرى فيه انه محصل تدرجات الصناعة حسب السنة المألوفة وهي سنة الترقى

وقل أيضا ان باطن العقود حافظ زخرفته وهي عبارة عن مشبك كثير الزوايا محلى بنقش عربي ومفرغ فى الجص ولسنا بحاجة للتنبيه على اهمية ذلك لان أصل الزخرفة العربية (التفريغ والنقش)

(١) الفسيفساء الموجودة بتجويف المحراب هي من عهد الملك المنصور لاجين وليست من عهد ابن طولون بدليل الكتابة النسخية الموجودة بها فان قلمها لم يوجد في زمن الدولة الطولونية . اه المؤلف

موجود من القرن الثالث الهجرى » . اه فهرس دار الآثار

والزخرفة التي فى باطن العقود ترى الآن بالرواق القبلى

هذا وقد عملت الزخارف جميعها على أصلها بلا قوالب (طوابع) بخلاف مايعمل في زماننا فانه اسهل صناعة واقرب وقتا وأقل مصاريف من تلك

وسنبين كل ذلك فيما يأتى . ولنشرع الآن في التكلم على مفردات البناء فنقول

٣ — المحاريب

لم يكن في زمن ابن طولون الا المحراب الاصلى الموجود بجانب المنبر ثم استجد بعده خمس محاريب من جص اثنان صغيران أحدهما على يمين الدكة والآخر على يسارها . والمحراب المستنصرى الموجود في منتصف البائكة الثانية بالرواق الشرقى من جهة الصحن . ومحراب السلطان حسام الدين لاجين وهو على يسار المحراب المذكور . ومحراب عمل في زمن المماليك البحرية ونسميه تساهلا المحراب المملوكي وهو على يسار المحراب الاصلى

— المحـراب الاصـلى —

اسباب انحرافه . قال محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر المتوفى سنة ٦٩٢ بمصر : سمعت غير واحد يقول . لما فرغ ابن طولون من بناء الجامع امر للناس بسماع مايقال فيه من العيوب . فقال رجـل محرابه صغير . وقال آخر مافيه عمود . وقال ثالث ليست له ميضاة . فجمع الناس وقال :

اما المحراب فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لى فاصبحت فرأيت النمل قد اطافت بالمـكان الذي خطه (١) فبنيت المحراب على خط النمل . ويسمى محراب النمـل لى الآن . ورؤى النبي صلى الله عليه وسلم عدة مرار يصلى في ذلك المحراب (٢)

وقيل انه لما عزم على بناء الجامع بعث الى محراب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسـلم من اخذ سمته فاذا هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج بالطرق الهندسية نحو العشر درج الى جهة الجنوب فوضع حينئـذ محراب مسجده هـذا مائلا الى جهـة الجنوب بنحو

(١) مقريزي ص ٢٦٧ ح ٢ (٢) أبـ اياس ص ٣٨ ح ١

ذلك اقتداء منـه بمحراب مسجد الرسول (١)

وفي ولاية قاضي القضاة عزالدين عبدالعزيز بن محمد بن جماعة (في عصر الناصر محمد بن قلاون) عقد مجلس بخصوص انحراف هذا المحراب حضره طائفة من علماء الميقات فاجمعوا على انه منحرف الى جهة الجنوب مغربا بقدر ١٤ درجة . وكتب بذلك محضر واثبت على يد ابن جماعة . (٢)

وفى سنة ٨٧٥ تكلم السلطان قايتباى مع القضاة عن انحراف هـذا المحراب . وقد كان الجامع فى نظر قاضى القضاة الشافعيـة

(١) خط عرض المدينة ٢٨ ٢٤° شمال خط الاستواء وخط طولها ٥٨ ٣٩° شرق جرينوتش

وخط عرض القاهرة ٠٣ ٣٠° شمال خط الاستواء وخط طولها ٢٢ ٣١° شرق جرينوتش

اما مكة فخط عرضها ٢٢ ٢١° شمال خط الاستواء وخط طولها ٢٢ ٤٠° شرق جرينوتش

ومن هذا يتضح خطأ ابن طولون ومن وافقه على ذلك . وايل اتجاه المحاريب القـديمة بمصر سبب بينـه المقريزى فى خططه ص ٢٥٦ وما يليها حـ ٢

(٢) مقريزى ٢٥٦ حـ ٢

فقال القاضي ينبغي ان يتغير هذا المحراب ويجدد غيره الى جهة القبلة .
(١) ولكنه لم يتغير الآن

كسوته . اما كسوة هذا المحراب والفسيفساء المذهبة التى بتجويفه فهما من زمن الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين الذى جدد الجامع فى سنة ٦٩٦ بدليل الكتابة النسخية السابق التكلم عليها . وهذه الفسيفساء متخذة من فصوص زجاج مذهبة . واقدم ما عثرت عليه منها موجود بمحراب قبة شجرة الدر التى بنيت سنة ٦٤٨ ثم محراب المدرسة المنصورية سنة ٦٨٤ ثم محراب ابن طولون هذا سنة ٦٩٦ فما هو بجامع الناصر محمد بالقلعة سنة ٧٣٥ فمحراب الاقبغاوية بالازهر سنة ٧٣٩

واقدم الفسيفساء المتخذة من رخام (خردة) ملون وبه بعض الصدف وزرة قبة قلاون

واقدم كسوة رخام وزرة قبة الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٨ ولكنها ليس عليها مسحة من البهاء

هذا فيما يختص بالفسيفساء والكسوة — اما الاعمدة الرخام فصناعتها بيزنطية وربما كانت من عصر ابن طولون ومن صناعة المهندس المصرى العظيم بدليل قوله للامير « انا ابنيه لك بلا عمد

(١) ابن اياس ١٢٣ جـ ٢

الا عمودى القبلة » أن لم يكن وجودها هناك من زمن لاجين

والطراز الخشب المنقوش بالخط الكوفى « لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » هو من عهد ابن طولون

وجاء عن المستطيل الخشب العلوى فى الخطط التوفيقية ص ٤٨ حـ ٤ ان به خمسة اسطر بالخط العربى لكنه لا يقرأ لمحو اغلبه . اه ويظهر من هذا ومن شكل الدهان الموجود على الخشب انه حديث الصناعة

اما القبة الخشب الموضوعة بالسقف اعلى المحراب فهى حديثة العهد ولا اعلم من وضعها . والمقرنص الذى بزواياها الاربع جددته لجنة حفظ الآثار

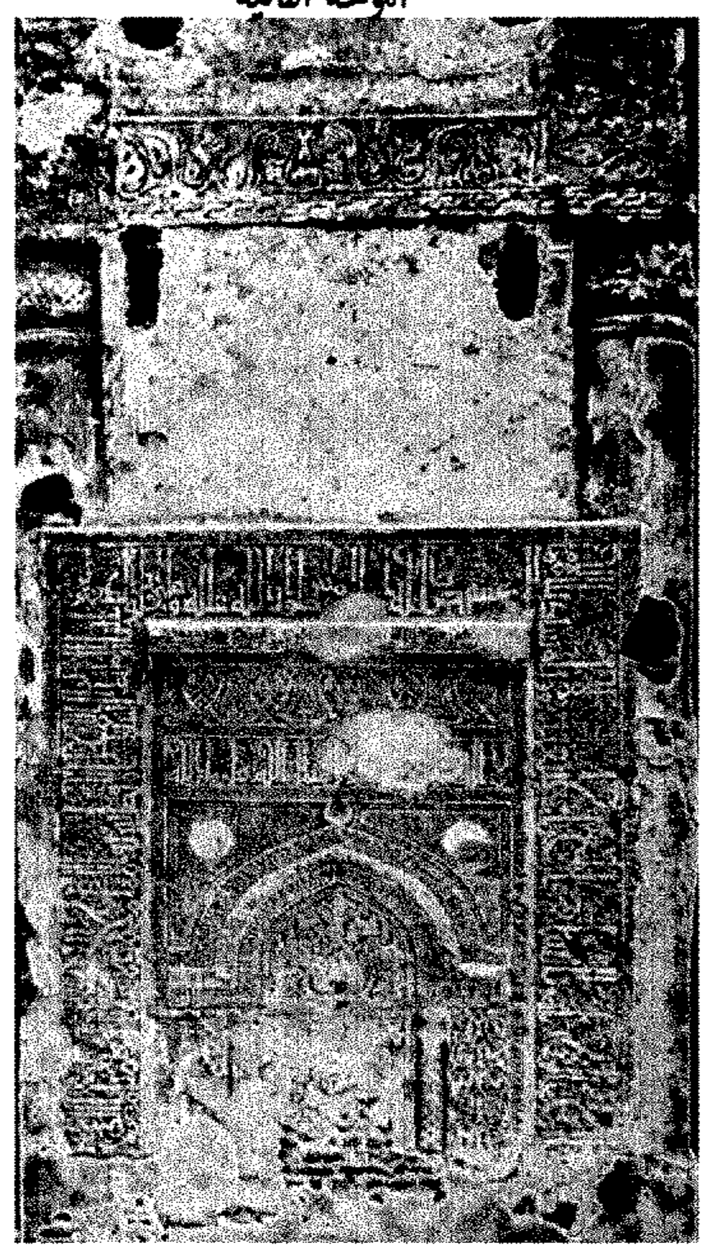
— المحرابان الصغيران —

وهما على جانبى الدكة منقوش على كل منهما سطر بالخط الكوفى به « لا اله الا الله محمد رسول الله » وفى وسط السطر المنقوش بالمحراب الايمن كتابة نسخية حديثة بخط ردئ نصها « على ولى الله »

وهذه الجملة استعملها الفاطميون وكانوا يقرنونها دائما بجملة « محمد رسول الله »

ومن ذلك يظهر ان الكاتب لها هو احد الشيعة المتأخرين

اللوحة الثانية



جامع احمد بن طولون

وجهة المحراب المستنصرى (رسم المؤلف)

— المحـراب المستنصرى —

وهو في منتصف البائكة الثانية الشرقية من جهة الصحن . ولا حاجة لان اذكر دقة صناعته وحسن زخرفته فانها واضحة جلية يقف الانسان امامها مندهشا مما كان عليه السلف من حسن الاسـلوب المعمارى وكثرة الشغف بالنقوش العربية الجميلة الهندسـية . وهى كما نرى فى اللوحة الثانية

نقش على هذا المحراب بالخط الكوفى الجميل

اولا — اطار كبير به مانصـه « بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشاء هـذا المحراب خليفة فتى مولانا وسـيدنا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين السيد الاجل الافضل سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين . . . »
وقد قرأت بالاجزاء الناقصة الاخيرة منذ سنوات هذه العبارة « خليل أمير المؤمنين »

ثانيا — سطر صغير ضيق يرى تحت السطر الافقى من الاطار به « . . . ثقة الامام فخر الاحكا (م) . . . القاسم عبدالحاكم بن وهيب بن عبدالرحمن »

ثالثا — سطر كبير به « لااله الاالله محمدرسول الله على ولى الله »

رابعا — فوق الخموس « الله اوحى اليك من الكتاب واقم
الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله
أكبر والله يعلم ماتصنعون »

خامسا — تحت الخموس « بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا الحمد
لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
الذى أحلنا دار المقامة من فضله . صدق الله »

فمن الكتابة الاولى يتضح ان هـذا المحراب عمل فى زمن
المستنصر بالله الفاطمى الذى توفى سنة ٤٨٧ وان الآمر بانشائه هو
خليفة فتى المستنصر . ومن لفظة (الافضل) المدونة فى الالقاب يعلم
ان فتى المستنصر هو الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى .
(١)— ويلزم ان تكون الالقاب صفة لفتى المضاف الى خليفة
على ان هذه الالقاب كلها عدا لقب (فتى) تلقب بها الافضل
فى حياة والده سنة ٤٨٢ — راجع المقريزى ص ٢٤٢ ج ٢
وقد كانت القاب والده — (فتى مولانا الامام المستنصر بالله
السيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة
المسلمين وهادى دعاة المؤمنين) كما هو منقوش على المشهد الجيوشى

(١) تكلمت على ترجمة حياتهما بالتفصيل فى المحاضرة السابعة
التى كان موضوعها — أبواب القاهرة وسورها —

بالمقطم ومذكور فى بعض الكتب التاريخية كابن خلكان ورفع الامر والمقريزى والاشارة الى من نال الوزارة (١) فكان يولى القضاة من قبله . وكل من تولى منهم يقال له خليفة مولانا — أى نائب الوزير —

ولما تعين فى الوزارة بعده ولده الافضل شاهنشاه فى شهر ربيع الاول سنة ٤٨٧ وكان عمره اذ ذاك ٢٩ سنة اختص بهذه الالقاب أيضا فصار يولى القضاة من قبله

ويستنتج مما سبق ان هذا المحراب لابد ان يكون تاريخ انشائه سنة ٤٨٧ .

اما الكتابة الثانية فتشير الى ان هذا المحراب له علاقة ما بالامام فخر الاحكام ابى القاسم عبد الحاكم الذى قال عنه ابن حجر فى كتابه (رفع الامر عن قضاة مصر) ما مختصره

عبد الحاكم بن وهب بن عبد الرحمن بن المليجى الربعى من

---

(١) الفه ابو منجب الصيرفى الوزير المامون الذى تولى بعد الافضل شاهنشاه سنة ٥١٥ ومحفوظ منه نسخة بالمكتبة الخالدية ببيت المقدس الشريف . وقد نسخت صورة منها عند تشريفى بزيارتى للقدس فى سنة ١٣٢٨

أهل مصر اسماعيلي ألمذهب . يكنى أبا القاسم . تولى القضاء في سابع ذى القعدة سنة ٤٥٠ ولقب قاضى القضاة ثقةالانام علم الاسلام فساءت احدوثته وقبحت طريقته فصرف فى ١١ رجب سنة ٤٥٢ ثم اعيد بعد سنة وأضيف اليه المظالم وجميع أسباب الحكم من الصلاة والخطابة وغير ذلك سوى الدعوة وصرف فى رمضان من السنة نفسها . ثم اعيد فى المحرم سنة ٥٤ واضيف اليه العامة وعزل بعد سنة. ثم اعيد وعزل خمس مرات اخرى نهايتها ربيع الاول سنة ٤٦٤. وكان عارفا باختلاف الفقهاء.

والى هنا انتهى مادونه ابن حجر (١) ولم اقف له بعد على ترجمة تامة الا ان وجود اسمه على هذا المحراب الذى برهنا على وجوب انشائه سنة ٤٨٧ يشير الى ان هذا القاضى عمر حتى سنة ٤٨٧ ان لم يكن عاش بعدها أيضا ويحتمل انه أعيد الى منصب القضاء مرة أومرات اثناء ذلك لاسيما اذا اعتبرنا التقلبات العديدة التى طرأت عليه

(١) لم يتفق معه فى هذه التواريخ السيوطى في كتابه حسن المحاضرة

— محراب لاجين —

انشا هذا المحراب حسام الدين لاجين فى سنة ٦٩٦ وصنعه على مثال المحراب المستنصرى الموجود على يمينه . ونقش عليه اطاراً بالخط الكوفى به مانصه

« . . هذا المحراب المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين سلطان الاسلام . . »

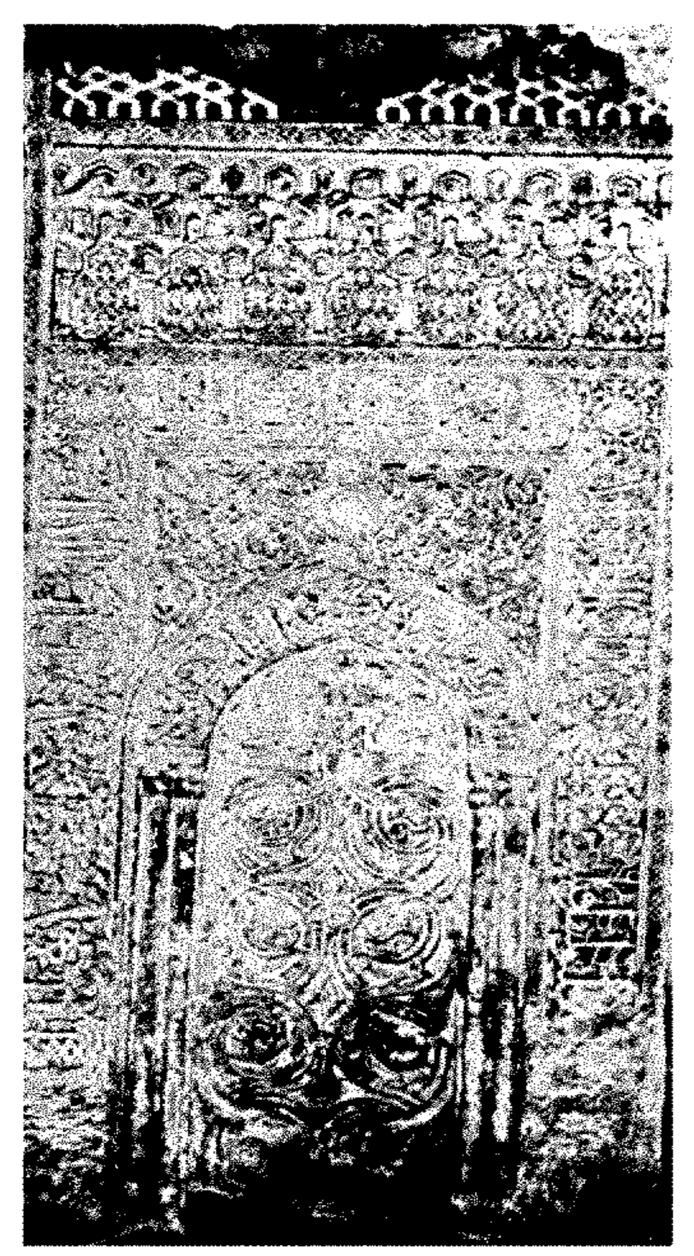
ونقش به ايضا اعلى المخموس « لا اله الا الله محمد رسول الله حسبى ربى الله »

ومن يمعن النظر فى هذا المحراب يجد ان دقائقه الفنية اقل من دقائق المحراب المستنصرى كما ان مادته الجصية التى عمل منها لم تكن متينة . ولذلك قد اندثر اوكاد قبل ان يطرأ على المحراب الآخر مثل ذلك

— المحراب المملوكى —

يوجد هذا المحراب على يسار المحراب الاصلى . ويزعم كثير من الناس ان السيدة نفيسة بنت الامام زيد رضى الله عنهما كانت تصلى فيه . وهذا لاصحة له لان السيدة انتقلت الى رحمة ربها فى سنة ٢٠٨ من الهجرة اى قبل بناء الجامع بسبع وخمسين سنة

اللوحة الثالثة



جامع احمد بن طولون

وجهة المحراب المملوكي (رسم المؤلف)

وربما كان هـذا المحراب هو المنسوب الى السيدة فاطمة الزهراء — فقد ذكر ابن دقماق ان رجلا رأى فى المنام كأن فاطمة الزهراء رضى الله عنها تصلى فى مكان من هـذا الجامع . فلما اصبح اخـبر الناس بذلك فصلوا فيـه وعملوا عليـه مقصورة تعرف للآن بمقصورة فاطمة الزهراء اهـ — انظر اللوحة الثالثة —

ومنقوش بالخط النسخى على الاطار آية قد نرى تقلب وجهك فى السماء . وعلى دائر المخموس وصـدره بالخط الـكوفى « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »

ويتضح من شـكل المقرنص والـكتابة انه عمـل فى زمن المماليك الاولى التى ابتدأت فى سنة ٦٤٨ وانتهت سنة ٧٨٤ .

هذا واقدم المحاريب الموجودة للآن بمصر هى المحاريب التى كانت تعمل فى زمن الفاطميين . وهى اما ان تـكون خشبا منقوشا يسهل نقله من مكان لآخر او بناء مزخرفا بالجص المنقوش . فالتى من البناء هى محاريب المشاهـد المجاورة لمسـجد سـيدنا الامام الشافعى . وتربة اليسع وروبيل ومشهد الجيوشى ومشهد السيدة رقية

والتى من الخشب فاقدم ماعرفته منها للآن محراب كان بالجامع الازهر انشاه الآمر باحكام الله سنة ٥١٩ ثم محراب مشهد السيدة رقية سنة ٥٣٥ وكلاهما موجود بدار الآثار العربية

٤ — المنبر (١)

لما انشىء الجامع عمل فيه منبر استمر حتى نقله الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين ونصبه فى الجامع الظاهرى بمنشاة المهرانى المنشأ سنة ٦٧١ هـ (٢) وعمل بدلا عنه هذا المنبر سنة ٦٩٦ وجعل حشوه من خشب ساج هندى وابنوس ولعظم من خشب نقى وخرط الدار بزين من خشب بقس وكتب على وجهته سطرين نصهما « امر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصورى فى العاشر من صفر سنة ست وتسعين وستمائة »

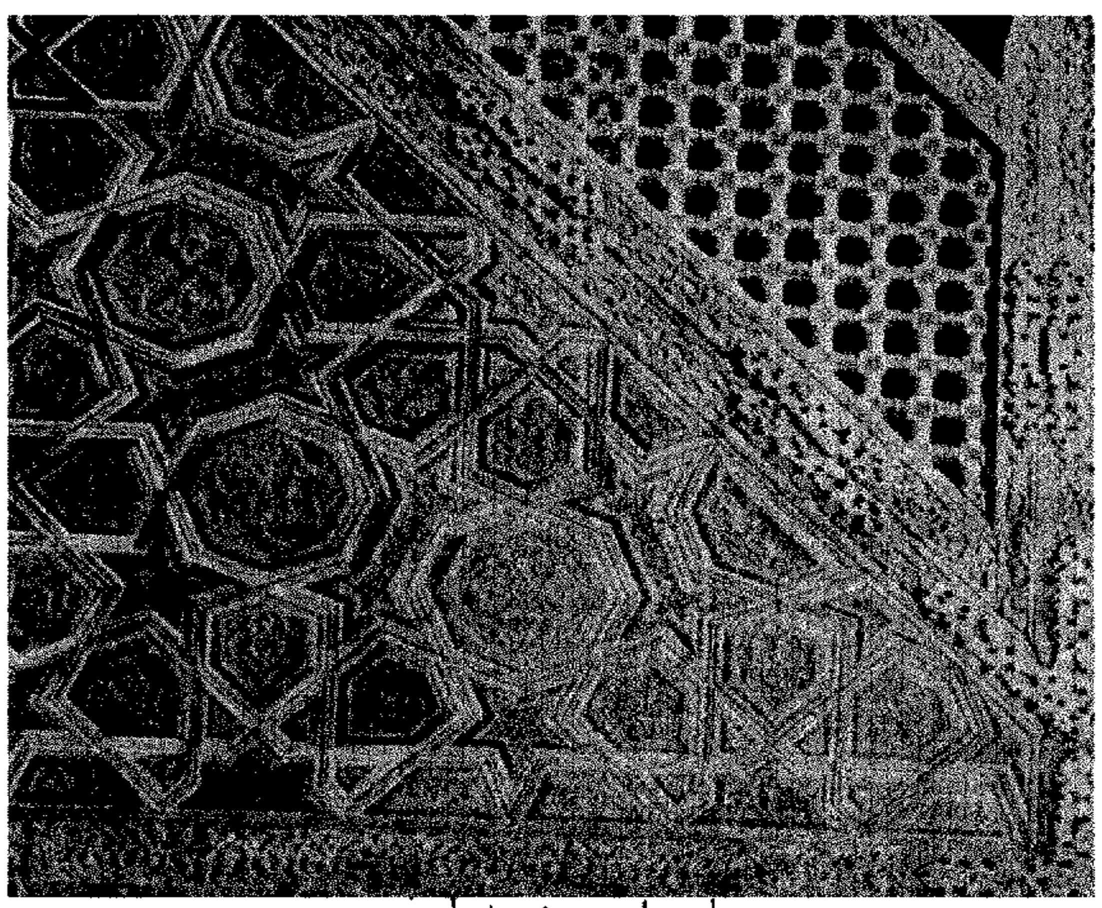
تعتبر صناعة هذا المنبر من ادق واتقن ماعمل على الاخشاب فى القرون الاولى الهجرية وقد سرقت اجزاؤه الهامة منذ ثلاثين سنة وبيعت فى اوربا وكثير منها مودع فى دار الآثار بلوندره. فصار هيكلا عظميا لاقيمة له حتى شرعت لجنة حفظ الآثار العربية فى اصلاحه فاشترت بعض ماعثرت عليه من مسروقاته واهداها بعضهم طائفة منها فرمته فى سنة ١٣٣٣ الهجرية رما اعاد له بهجته الاولى — وهاك صورة قطعة منه فى اللوحة الرابعة.

هذا واقدم منبر من الخشب المعشق المنقوش الموجود للآن

---

(١) تكلمت عن اصل المنابر فى الاسلام فى محاضرة جامع عمرو (٢) ابن دقماق ص ١٢٠ ج ٤

اللوحة الرابعة



جامع احمد بن طولون

جزء من الجانب الايسر للمنبر (رسم المؤلف)

عصر هو منبر الجامع العمرى بقوص . انشاه الملك الصالح طلائع وزير الخليفة الفائز عيسى الفاطمى سنة ٥٥٠ من الهجرة .

ثم منبر لاجين الذى نحن بصدده فنبر الامير بكتمر الجوكندار (سنة ٦٩٩) بجامع الصالح طلائع خارج باب زويلة . ثم منبر جامع المارداني (سنة ٧٤٠)

وكانت المنابر فى العصر الاول تعمل سدا بدون نافذتين فى الجانبين كما يشاهد في المنابر السالفة الذكر . ثم عمل فيها بعد ذلك البابان المسميان ببابى الروضة وصارا كأنهما من لوازم المنابر الآن

واقدم منبر رخام هو منبر جامع الخطيرى ببولاق (سنة ٧٣٧) وقدعثرت لجنة حفظ الآثارعلىالاجزاء الباقية منه بعد تخرب الجامع فاودعتها فى دار الآثار العربية

حادثة الخطيب . لما رقى الخطيب ابو يعقوب البلخى المنبر وخطب دعا للمعتمد ولولده ونسى ان يدعو لابن طولون ونزل عن المنبر . فاشارالامير الى غلامه نسيم بضرب الخطيب خمسمائة سوط. فذكر الخطيب سهوه وهو على مراقى المنبر فعاد وقال «الحمدلله وصلى الله على سيدنا محمد ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد لهعزما اللهم واصلح الامير ابا العباس احمد بن طولون مولى امير المؤمنين » وزاد فى الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ثم نزل . فنظر الامير الى

الغلام باستبدال الاسواط بدنانير . ووقف الخطيب على ما كان حنه فحمد الله تعالى على سلامته وهنأه الناس (١)

٥ — المناور الجص

وعمل به من المناور الجص ١٣٠ منورا . فى كل من الجنبين الغربي والشرقى ٣٣ والبحرى والقبلى ٣٢ وحول كل منور اطار منقوش كتابة كوفية بها آيات قرآنية .

وقد ركبت هذه المناور متداخلة عن وجه الحائط لاظهار هيئة العمد وطى العقد المزخرف .

وقد كانت تفرغ بمحلها أولا فكان يعمل لوح من الجص طبقات فوق بعضها كطبقات البياض بالثخانة المطلوبة ثم يرسم عليه المشبك ويفرغ مايلزم تفريغه من وجهه على زاوية مستقيمة

ولما ترقت الصناعة صارت تصب عجينة الجص لوحا بالثخانة المطلوبة وبعد التفريغ يركب اللوح فى محله . وهذه هى الطريقة المتبعة الآن .

وقد اتخذت مناور ابن طولون مثالا ونسج على منوالها ف

(١) المقريزى ص ٢٦٧ ح ٢

الجوامع التى أنشئت فى زمن الفاطميين ومن بعدهم الى اواخر عصر الدولة البحرية واستعملت لسد النوافذ العليا فى الجوامع المكشوفة الصحون كما يشاهد ذلك فى آثار هذه الدول

ثم استعيض عنها بشبابيك السلك المتخذ من النحاس ثم بالخشب المصنوع خرطا صهريجيا . واخيرا « بالشيشة » وهى قطع رفيعة من خشب توضع مشبكة وهى باقية في بعض المساجد والمنازل للآن

على ان بعضهم كان يستبدل الجص بشبابيك من خشب مفرغ ومنقوش على شكل زخرفة جميلة لان الخشب يمكث زمنا اكثر من الجص . والبعض استبدلها بحجر منقوش مفرغ وقليل ماهم

اما العمارات المسقوفة فاتخذت فيها هذه المناور من الخارج لحفظ الشبابيك الاصلية المتخذة من جص وزجاج ملون وتعرف بالقمرية اوالشمسية وهذه على نوعين كلاهما من آثار عصر مخصوص وسنتكلم عليهما عند التكلم على قبة الصالح نجم الدين المنشأة سنة ٦٤٧ بالنحاسين

لم يبق من المناور التى عملت فى زمن ابن طولون الا بعض من الاطر التى كانت منقوشة بالخط الكوفى حول المناور لانه من الاطلاع عليها يظهر

اولا — ان قسما من الاطر قديم على اصله لم يتغير وهذا كتابته

على نسق كتابة الايزار الخشب والكتابات التى وجدت على الالواح الرخام التى كانت شواهد لقبور حوالى زمن الطولونيين

ثانيا — والقسم الآخر بعضه تجدد فى زمن الفاطميين وعمل زخرفة بدلا عن الكتابة . والبعض الآخر عمل فى زمن حسام الدين لاجين وهواما ان يكون كتابة كوفية من كلمات مكررة اوآيات قرآنية بخط تقليد للكوفى القديم .او يكون زخرفة بشكل (كرنداز) مثلا اومايشبهه

ثالثا — من الاطلاع على الالحام الكائن بين الاطر القديمة الاصلية والمناور المفرغة وبين الاطر الزخرفة التى عملت فى زمن الفاطميين والمناور الملصوقة بها يتضح ان هذه المناور المفرغة حديثة العهد عملت بدلا عن مناور اخرى كانت محلها ودثرت . اما الاطر الحديثة التى عملت فى زمن لاجين فلم يكن بينها وبين المناور لحام ما

رابعا — ومن يرجع ببصره الى المشبكات الهندسية الموجودة بباطن عقود البوائك ويقارن بينها وبين المشبكات الموجودة بالمناور يظهر له الفرق بلا تردد جليا واضحا ناطقا بأن هذه المناور صناعتها متقنة ورسومها ادق من

تلك . ولا يتأتى ذلك الا من تقدم الصناعة ومضى اجيال عليها وهى متدرجة من الحسن الى الاحسن حسب سنة الترقى

هذا وقد قال حضرة صاحب السعادة هرتس باشا عن هذه المناور ماياتى : لايترجح عندى ان هذه الشبابيك معاصرة لبناء الجامع لان زخرفتها ليس فيها شىء من أثر التردد الذى هو الوصف الغالب على الزخرفة الاصلية لهذا الاثر . بل ان عليها بصمة الاستاذية التى تشاهد فى منشآت العصر الزاهر لمحمد الناصر

على انه لاشك عندى فى ان الشبابيك الحالية هى بدل شبابيك اخرى كانت عملت فى عهد ابن طولون . ويؤيد مانقول ان بجامع الحاكم بامر الله ايضا مناور ليست فى الاتقان مثل هذه المناور .

ونلاحظ ايضا ان جامع ابن طولون عمر فى القرن الثالث عشر الميلادى (سنة ٦٩٦ هـ) تعميرا كاد يغير كيانه وعلى ذلك يترجح ان تكون هذه المناور من عهد اصلاحه . ويزيد هذا الترجيح ثبوتا كون زخرفة باطن شبابيك جامع ابن طولون هى عين زخرفة قبة قلاون . اهـ دليل دار الآثار

٦ ـــ اسقف الجامع وازاره

لم يبق من السقف القديم الذى صنع فى عصر ابن طولون شىء سوى الافريز المصنوع من خشب الجميز اسفل السقف الحالى والمنقوش عليه بالخط الكوفى آيات قرآنية

يزعم كثير من الناس والسواحين ان به القرآن كله . و بعضهم يقول ان الحروف مقطعة ومسمرة على الطراز . وهذا لاصحة له لانها نقش بارز على اللوح ذاته . ولو قيس دائر الاسقف كلها واعتبر مقاس الجزء الذى به سورة الفاتحة لتبين انا ان المنقوش على جميع الايزار لايزيد عن ثلاثة اجزاء من القرآن

واما اجزاء السقف القديمة التى ترى الآن فقد جاء عنها فى دليل دار الآثار ص ١٠٨ مانصه : « واقدم جوامعنا الذى هو جامع ابن طولون كان مسقفا بخشب براطيمه مرئية وهى عبارة عن افلاق من النخل مكسوة وجهاتها الثلاث المرئية الواحا من الخشب

وفى هذا السقف ركبت فى الفراغ بين كل برطومين عوارض عمودية عليها فنتج عن ذلك اخاديد قليلة العمق . ولم يتأت للجنة ان تحفظ من السقف القديم الاجزأ صغيرا . اه

والذى اراه ان هذه البقايا ليست من عصر ابن طولون بل هى من السقف الذى صنعه حسام الدين لاجين منذ ستمائة وتسع وثلاثين

سنة يؤيد ذلك قول ابن اياس فى كتابه ص ١٣٦ ج ١ « ثم اخذ لاجين في اسباب عمارة جامع ابن طولون وكان خرابا بغير سقف مدة مائة وسبعين سنة »

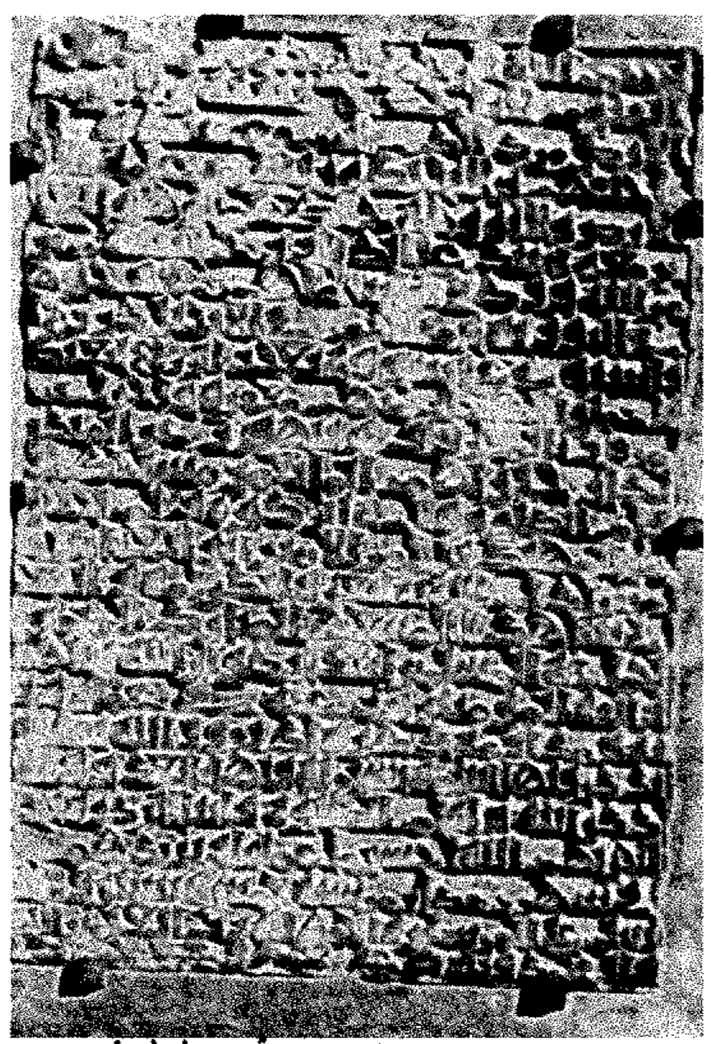
وقول المقريزى فى خططه ص ٢٦٨ ج ٢ « لما كان الغلاء فى زمن المستنصر وخربت القطائع والعسكر عدم الساكن هناك وصار ماحول الجامع خرابا وتوالت الايام على ذلك وتشعث الجامع وخرب اكثره وصار اخيرا ينزل فيه المغاربة بابلعرها ومتاعها عند مايمر بمصر ايام الحج » وهو وان لم يكن واضحا الا انه يستدل منه على تخربه وليس ببعيد ان تكون الاهالى اقتلعت الاخشاب فى ذاك الوقت للانتفاع بها

وقبل ان ننتقل الى معاينة القبة نتكلم على اللوح الرخام الملاصق على احدى الدعائم بالرواق الكبير حتى لانعود اليه مرة ثانية فنقول

٧ — اللوح الرخام

لما تم الجامع نقش المهندس المصرى مذكرة تاريخية بالخط الكوفى على بضع الواح رخام وضعها على ابواب الجامع العمومية

اللوحة الخامسة



جامع احمد بن طولون

اللوح الرخام المنقوش عليه تاريخ الانشاء (رسم المؤلف)

تتضمن تاريخ انشائه والباعث للامير عليه .

بقى من هذه الالواح اربع قطعات مختلفة الخط والمقاس عوينت ورسمت فى كتاب الحملة الفرنساوية فى عهد بونابرت ١٢١٣ هـ — ١٢١٦ هـ فالاول منها ٢٥ سطرا والثانى ٢٦ والثالث ٣١ والرابع ٣٤ ثم تغلبت عليها الايدى فدثرت ولم يبق منها الا لوح رخام قال عنه المرحوم على باشا مبارك فى خططه ص ٤٨ ح ٤ انه كان على باب الجامع من الداخل تجاه الميضاة .

وقد عثرت لجنة حفظ الآثار على اجزائه اثناء هدم المبانى الرديئة التى كانت بالجامع ومثال الاتربة فجمعتها ورتبتها فكان منها النصف الايمن الاصلى ومقاسه ٠,٩٦ متر عرضا فى ١,٦٢٥ متر علوا ويحتوى على ٢٥ سطرا فالصقته على احدى الدعائم بالرواق الكبير — انظر اللوحة الخامسة — وهاك نص الكتابة المنقوشة عليه . والكتابة المفقودة والتى فى السطر السادس والعشرين نقلتها من كتاب الحملة الفرنساوية . وقد بينت هنا رقم السطور لتسهل على المراجع قراءته

١ « بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين الله لااله الاهو الحى ٢ القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات وما فى

٣ الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين أيديهم و

٤ ما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه

السموات و ٥ الارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم محمد
رسول الله والذ ٦ ين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم
ركعًا سجداً يبتغون فضلا ٧ من الله و رضوانًا سيماهم فى وجوههم
من أثر السجود ذلك مثلهم ٨ فى التورية ومثلهم فى الانجيل
كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ ٩ فاستوى على سوقه
يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعدالله الذين آمنوا ١٠ وعملوا
الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما كنتم خير أمة أخرجت للناس تأ
١١ مرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن
أهل الكتاب ١٢ لكان خيرا لهم انما يعمر مساجد الله من آمن
بالله واليوم الآخر وأ ١٣ قام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا
الله فعسى أولئك أن يكونوا ١٤ من المهتدين أمر الامير
أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤ ١٥ منين ادام الله له
العز والكرامة والنعمة ... فى الآخرة والاو ١٦ لى ببناء هذا
المسجد المبارك الميمون من خالص ما افاء الله عليه وطيبه ١٧ لجماعة
المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة وايثارا لما فيه تسنية الدين
١٨ والفة المؤمنين ورغبة فى عمارة بيت الله واداء فرضه وتلاوة
كتا ١٩ به ومداومة ذكره اذ يقول الله تقدس وتعالى فى
بيوت أذن الله أن ترفع و ٢٠ يذكر فيها اسمه يسبح له فيها
بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ٢١ ذكر الله

وإقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ٢٢ ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ٢٣ فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين سبحان ربك رب العزة عما يصفون و ٢٤ سلم على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا ٢٥ وآل محمد و بارك على محمد وعلى آل محمد كافضل ماصليت وترحمت وباركت على ابراهيم ٢٦ ..... وعلى آل ابراهيم وانعم انك حميد مجيد »

وعثرت اللجنة أيضا على قطعة أخرى من لوح مقاسها ٤٣ر٠ × ٣٠ر٠ متر بها ٤ اسطر هذا نصها « ب لكان خير . الاخروا . سعى اولئك . احمد بن طو . » وهى مودعة بدار الآثار العربية تحت رقم ٧٣

٨ — القبة بوسط الصحن

لما انشأ ابن طولون الجامع جعل فى وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهى مذهبة على عشر عمد رخام وستة عشر عمودا فى جوانبها مفروشة كلها بالرخام . وتحت القبة قصعة (حوض) رخام قطرها اربعة اذرع فى وسطها نافورة ماء . وفى وسطها قبة

مزوقة يؤذن فيها وفى اخرى على سلمها وفى السطح علامات الزوال والسطح بدر بزين ساج (١)

هذه القبة عاينها البشارى وتكلم عنها فى ص ١٩٩ من كتابه « احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » (٢) فقال : — والجامع الفوقانى من بناء بنى طولون اكبر وابهى من السفلانى (جامع عمرو) على اساطين واسعة مصهرجة وسقوفه عالية فى وسطه قبة على عمل قبة زمزم فيها سقاية . مشرف على فم الخليج وغيره . وله زيادات . وخلفه دار حسنة . (دار الامارة) ومنارته من حجر صغيرة درجها من خارج . والحد بين اسفل وفوق مسجد عبد الله (جامع العسكر) قد بنى على مساحة الكعبة » اه

بقيت هذه القبة حتى احترقت فى جمادى الاولى سنة ٣٧٦ فجددها العزيز بالله ابن المعز العبيدى فى سنة ٣٨٥هـ وقيل ان امه

(١) مقريزى ص ٢٦٧ ج ٢ وابن دقماق ١٢٣ ج ٤

(٢) هو العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد المقدسى المعروف بالبشارى . فرغ من تأليف كتابه احسن التقاسيم فى سنة ٣٧٥ من الهجرة وهو كتاب نفيس طبع بمدينة ليد بهولنده سنة ١٨٧٦ م . وانى الفت نظر حضرات مدرسى الجغرافيا الى مطالعته وهو موجود بدار الكتب السلطانية تحت رقم ٣٩٢ تاريخ



جامع أحمد بن طولون

القبة والمنارة قبل الاصلاح الحديث الذى باشرته اللجنة (من محفوظات اللجنة)

نغريد هي الآمرة بالبناء وان راشدا الخفيفي او الحنفي هو المباشر للعمارة (١)

استمرت هذه القبة الحديثة حتى سنة ٦٩٦ الهجرية فجددها برمتها السلطان لاجين . و بنى قاعدتها بالحجر ومقاس كل من الضلعين البحرى والقبلى ١٢,٧٥ متر . والشرقى والغربى ١٤,١٠ متر وهى مكونة من اربع بوائك معقودة عقدا ستينيا . وعمل فى الجنب البحرى منها سلما فى داخل سمك الحائط يصعد منه الى سطح القاعدة . وخلوة لطيفة فى نهاية الجنب المذكور من شرق . ونقش على قطعة خشب بالجنب الشرقى مانصه « امر بتجديد هذا الجامع مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين »

و بنى القبة بالآجر ونقش بها من الداخل طرازا اعلى المقرنصات بالجص فيه آيات قرآنية عن الطهارة والصلاة . وجعل بوسط ارض القبة فسقية استعملت للوضوء فيما بعد .

ثم حدثت بعد زمن غرفة فى الجناح البحرى الشرقى للسطح بقيت حتى هدمتها لجنة حفظ الآثار وهى مبينة فى اللوحة السادسة

(١) قال ابن دقماق « ان القبة احترقت سنة ٢٧٩ وتجددت فى سنة ٣٨٥ » وقد وهم فى ذلك لان الدولة الطولونية انتهت فى سنة ٢٩٢ ولا يعقل ان تحترق الفوارة والقبة فى زمنهم ولم يجددوها . ثم ان البشارى رآها قبل الحريق

ولما كانت القبة فى وسط الصحن شبيهة بالكعبة فى وسط الحرم المكى جاء عنها فى كتب السواح « ان بناء الجامع ـ خصوصا القبة ـ تقليد لبناء الكعبة (١) وعن القطعة الخشب السالفة الذكر انها من سفينة نوح عليه السلام » قيل ذلك تعظيما لشان الكعبة المزورة وهو محض اختلاق لا صحة له . لانه لم يكن فوق الكعبة قبة حتى يصح التشبيه بل القبة التى هناك هى على بئر زمزم انشاها المنصور ابو جعفر سنة ١٤٥ وهى وان تكن فى الصحن الا انها بعيدة عن الكعبة . وقد جاء تشبيه ابن البشارى لهذه القبة بانها « على عمل قبة زمزم فيها سقاية » لان زمزم يشربون الناس منها ولما كانت قبة

(١) لم تكن الكعبة فى بادىء الأمر فى وسط الحرم والذى جعلها متوسطة الخليفة ابو عبدالله محمد المهدى العباسى وذلك انه حج سنة ١٦٠ فوجد الكعبة فى جانب المسجد فهدم حيطانه واشترى كثيرا من المنازل وزادها فى المسجد خصوصا فى الجهة الشرقية القبلية واحضر المهندسين وصير الكعبة فى الوسط . وهى ليست مربعة اذ ضلعان منها ١٠٫١٠ مترا وضلعان ١٢٫٠٠ مترا وعلوها ١٥٫٠٠ مترا وارتفاع عتبة بابها عن الارض متران وهى فى الوسط عيل الى الجنوب و بوسطها من الداخل ثلاث اعمدة من العود القاقلى عليها مقاصير ترتكز على حائط الميزاب من جهة وحائط الحجر الاسود من اخرى .

ابن طولون فى وسطها فوارة للماء انطبق التشبيه من هذه الوجهة فقط

ولو علم الناس ان كل بناء شكله منشور رباعى يقال له كعبة وان كعبة البيت الحرام ماسميت كعبة الا لتكعيبها اى تربيعها وارتفاع بنائها — راجع فقه اللغة ولسان العرب — لاخفضوا من غلوائهم ولم يتهموا ابن طولون بما ينسبون اليه من الاضاليل زورا كقولهم انه أراد ابطال حج بيت الله الحرام فبنى هذه القبة ليطوف الناس حولها .

هذا وقد جاء ذكر الكعبة فى خطط المقريزى ص ٤٥٣ ج ٢ دليلا على البناء المربع حيث قال : — وكان بقرافة مصر جواسق (قصور — مناظر مرتفعة) — منها ماتحته حوض ماء لشرب الدواب وفسقية و بستان . وكان لكل من اكابر الأمراء جوسق يتنزه فيه ويعبد الله تعالى هناك . وكان لابى بكر محمد بن علي المادرائى وزير آل طولون جوسق كبير جدا على هيئة الكعبة يجتمعون عنده فى الأعياد . . . . . الخ . ماقال .

***

ولما شرعت لجنة حفظ الآثار فى اصلاح الجامع اصلحت ماتهدم من هذه القبة فاعادت الابنية الحجرية كأصلها واستاصلت الغرفة الحديثة ولم تعد الشرافات الحجر التى كانت بدائر القاعدة والواضحة فى اللوحة السادسة — ولعل ذلك باق الى فرصة أخرى — و بيضتها من الخارج فاصبحت كما ترى فى اللوحة السابعة

هذا ولم تكن القباب تبنى فى الزمن السالف الا بالآجر . واول قبة رأيتها مبنية بالحجر (١) هى قبة بمسجد سنجر الجاولى سنة ٧٠٣ وهى صغيرة الحجم تكاد لاترى بالنسبة للقبتين الضخمتين المجاورتين لها المبنيتين بالآجر . ثم قبة تربة تنكز بغا سنة ٧٦٤ فقباب اخرى

٩ — منارات الجامع

المنارة الكبرى

بناء هذه المنارة بالحجر الوارد من محجر البساتين ودرجها من الخارج ومقاس قاعدتها ١٠٫٩٥ × ١٠٫٦٠ مترا وليس بمصر منارة غيرها سلمها من ظاهرها . ويتوصل من سلمها الى سطح الجامع . ويصل الانسان الى دورة المؤذن بعد مايصعد ١٧٢ مرقاة . وعدد مراقى الدورة العلوية ١٦ وارتفاع قمة المنارة عن أرض الجامع ٣٩٫٠٠ مترا

(١) وبهذه المناسبة نصحح ماجاء فى دليل دار الآثار ص ٦٢ وهو ان اول قبة اتخذت من الحجر النحت على تربة السلطان برقوق سنة ٨٠٨

والبناء سلمها من الخارج سبب ذكره المؤرخون

فقال ابو المظفر يوسف المعروف بسبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ فى كتابه مرآة الزمان : — قرأت فى تاريخ مصر (١) ان ابن طولون كان لا يعبث قط وانه اخذ درجا من الكاغد وجعل يعبث به و بقى بعضه فى يده . فعجب الحاضرون . فقال اصنعوامنارة الجامع على هذا المثال وهى قائمة اليوم على ذلك . اه حسن المحاضرة .

وقال ابن دقماق فى كتابه الانتصار « والمنارة من اغرب المنائر عمارة لان مراقيها من ظاهرها يطلع عليها الى اعلاها بدرج عريضة تسع جملين محملين (٢) يصعدان اليها . وسبب عمارتها على هذه الصورة ان ابن طولون كان ساكن المجلس لا يعبث بيده ابدا وانه أخذ بيده درج ورق فادخل اصبعه فى احد طرفيه فخرج الطرف الآخر . فتعجب أهل المجلس من ذلك ونظر بعضهم الى بعض

---

(١) تاريخ مصر عنوان لجملة كتب صنفها كثيرون من المؤرخين مثل ابي سعيد عبدالرحمن بن أحمد الشهير بابن يونس الذى توفى سنة ٣٤٧ وابن زولاق الذى توفى سنة ٣٨٧ والمسبحى الذى توفى سنة ٤٢٠ والقفطى الذى توفى سنة ٦٤٦

(٢) وهم ابن دقماق فى عرض الدرج فان عرضه أى طوله ١٫٥٥ متر بخلاف عرض الجملين المحملين فانه على أقل تقدير ٦٫٠٠ امتار ويظهر ان ابن دقماق لم يشاهد المنارة

ففطن بسرعة وكان ذكيا . فقال انما فعلت ذلك لانى اردت ان أبنى منارة مسجدى الجامع كذلك وامر المهندسين ان يبنوها على ذلك المثال . اه

وذكر المقريزى فى خططه هذه الرواية الا انه لم يعين عرض الدرج وقال والعامة يقولون ان العشارى (المركب) الذى عليها يدور مع الشمس وليس صحيحا وانما يدور مع دوران الرياح . وكان الملك الكامل قد اعتنى بوقودها ليلة النصف من شعبان ثم ابطلها . وهذا العشارى وجده ابن طولون فى الكنز اه

وقد شاهدها محمد بن احمد المقدسى البشارى بعد بنائها با كثر من قرن وقال عنها فى كتابه « احسن التقاسيم » (١) مانصه : « ومنارة (جامع ابن طولون) من حجر صغيرة درجها من خارج » اه فهل المنارة الحالية هى التى عاينها البشارى ام اقيمت على انقاض الاولى ؟

لاشك ان هذه المنارة غير تلك والدليل على ذلك ماياتى

(١) — شكل عقود السفل يدل على انه متاخر عن بناء الجامع بزمن مديد لان هذا الشكل لم يوجد فى الابنية الاثرية بمصر الا فى محل واحد عمل فى القرن السابع الهجرى ،

(١) عند الكلام عن هذا الكتاب فى صفحة ٣٢ فاتنى ان اشكر حضرة الاستاذ الشيخ محمد الخضرى بك مدرس التاريخ الاسلامى بالجامعة المصرية فانه هو الذى ارشدنى الى هذا الكتاب النفيس

زمن الايوبيين واعنى به رباط ازدمر الشهير الآن بتربة مصطفى باشا حاكم اليمن بشارع القادرية ومسجل تحت رقم ٢٧٩ اثـر .

(٢) — بناء قاعـدة المنارة من الجهة الغربيـة الملاصقة لحائط الزيادة غشيم اى غير نظيف فلو كانت المنارة من زمن ابن طولون لجعـل البناء منحوتا نظيفا خصوصا اذا علمنا ان حائط الزيادة عملت بعد بناء المنارة كما سيرد ذلك

(٣) — المقرنصات الحلبية التى بالجزء الاعلى لم توجـد بمصر الا فى القرن السابع . وهذا الجزء عمل والقاعدة فى وقت واحد بدليل معدن الحجر فانه واحد فى الاثنين

(٤) — وقال هرتس باشا فى دليـل دار الآثار ص ١٨ « توجد أدلة كثيرة تنفى ماقيل من ان المنارة الكبرى بنيت مع الجامع لان بناء وشكل عقود السفل ينفيانه » اه

وقال السيوطى وابن اياس فى كتابيهما « واختفى لاجـين فى مئذنة جامع ابن طولون مدة طويلة »

وقال ابن اياس فى موضع آخر « واختفى لاجين فى خزانة ابن طولون سـنة »

فاذا سلمنا بالقولين تـكون الخزانة والمئـذنة بجوار بعضهما لان الاختفاء لايكون الا فى غرفة او وراء حجاب

ومنارتنا هـذه مكشوفة للرياح والشمس فلم يكن بها مايستكن فيه وسلمها ظاهر للعيان فلا يحجب احدا

ويستنتج مما تقدم ان المنارة الحالية حديثة الانشاء اقيمت على انقاض الاولى ويترجح عندى انها من بناء حسام الدين لاجين سنة ٦٩٦ صنعها على مثال المنارة القديمة التى بنيت بالحجر على شكل منارة جامع سامرّا (١) وشكل هاتين المنارتين مثال اشكال المراصد الكلدانية وبرج بابل

وفى سنة ١١٠٥ هبت ريح شديدة فاسقطت المركب التى كانت على هذه المنارة (٢)

ثم طرأ على هذه المنارة ماطرأ على الجامع من التخريب والهدم

(١) ابن دقماق والمقريزى . وسامرا بلدة عظيمة بالعراق كانت مقر الخلفاء اختطها المعتصم الذى تولى سنة ٢١٨ وزاد فيها المتوكل الذى تولى سنة ٢٣٢ وكانت عجيبة حسنة حتى سميت سر ور من راى ثم اختصر الاسم فقيل سر مرَى . ولما خربت سميت ساء من راى ثم اختصرت فقيل سامرا . وبها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق قد ألبست حيطانه بالمينا وجعلت فيه اساطين الرخام وفرش به وله منارة طويلة اه احسن التقاسيم . وهى تبعد عن بغداد بنحو ٣٠ ميلا

(٢) جبرتى ص ٢٥

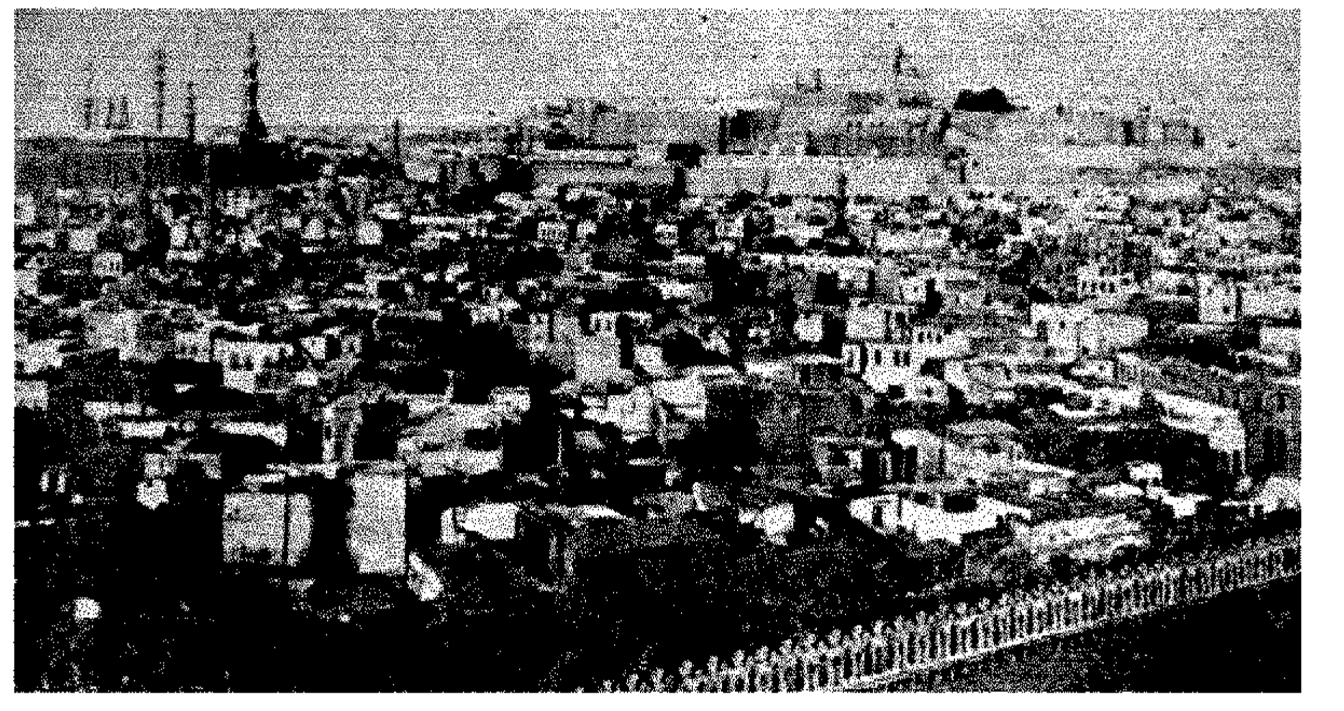
اللوحة السابعة



جامع احمد بن طولون

القبة والمنارة بعد الاصلاح (رسم المؤلف)

اللوحة الثامنة



منظر جزء من الجهة الشرقية القبلية للقاهرة مأخوذ من فوق منارة جامع احمد بن طولون

(رسم المؤلف)

وتآكل احجار السلم فجاءت لجنة الآثار العربية فرمت السلالم جميعها والذروة المحيطة بها وجزأ من الخوذة حتى صارت فى مأمن من عوادى الدهر — انظر اللوحة السابعة — يصعد عليها المتفرج فيرى من اعلاها منظر مصر البهيج يرى اهرامات الجيزة ودهشور والنيل واوائل الدلتا والمقطم والقلعة وابنية المنازل والمعابد والحدائق الى غير ذلك . وقد تصادف صعودى على هذه المنارة فى وقت كانت جارية فيه عمارة منارتى جامع الرفاعى فصورتهما مع جامع السلطان حسن والقلعة وغيرهما كما ترى فى اللوحة الثامنة .

وقد كانت المنارات بمصر تبنى اولا بالآجر يستثنى من ذلك منارات جامع ابن طولون والحاكم فانهما بالحجر . ثم صارت تبنى القواعد بالحجر فقط والجزء العلوى بالآجر . ولما كثر استعمال الحجر النحت بنيت به المنارات باكملها .

واول منارة بالحجر منارة المدرسة المنصورية التى انشاها قلاون بالنحاسين سنة ٦٨٤ ثم منارة جامع الامير حسين الذى انشىء سنة ٧١٩ فمنارة المدرسة الاقبغاوية (١) بالازهر ومنارة جامع الماردانى سنة ٧٤٠ بناهما مع المدرسة والجامع المعلم ابن السيوفى رئيس

---

(١) قال المقريزى ص ٣٨٤ ج ٢ ان منارة الاقبغاوية هى اول مئذنة عملت بالحجر المنحوت بديار مصر بعد المنصورية اهـ

المهندسين فى الايام الناصرية .

المنارة الآجرية

هذه المنارة بالزاوية البحرية الشرقية اعلى حائطى الجامع والوصول اليها من سطحه . بناها فى عصر الناصر محمد بن قلاون القاضى كريم الدين الكبير وكان قد انشأ منارة اخرى فى الزاوية الشرقية القبلية المقابلة لها سقطت فى القرن الثالث عشر الهجرى .
وهذه المنارة بها ميل ربما كان سببا فى سقوطها يوما ما

١٠ ـ الزيادة واسباب وجودها

وقيل لما انتهى الجامع وفتح للصلاة لم يحضر أحد من المصلين لاعتقادهم انه بنى من مال لايعرفون اصله وكان الناس فى ذلك الوقت محترزين على دينهم . فعز ذلك على ابن طولون وجمعهم فى يوم جمعة وخطب فيهم واقسم بالله العظيم الذى لا اله الا هو انه ما بنى هذا الجامع ويده تشير اليه بشىء من ماله وانه بناه بكنز ظفر به فى الجبل الثالث وان المشارى الذى نصبه على مئذنته وجده فى

الـكنز وكمل الخطبة .فلما سمع الناس ذلك اجتمع خلق كثير وصلوا الجمعة فيــه .

ولما سمع الناس منــه حكاية المحراب السالف ذكرها وكيف بنى واشاعوا ذلك عظم شأن الجامع وضاق على المصلين فقالوا لابن طولون نريد ان تزيد لنا فيه زيادة فزاد فيه هذه الزيادة بظاهره(١)

ولا عبرة بما يقال من ان هذه الزيادة اقتطعها ابن طولون من الجامع لما وجده اكبر مقاساً من الحرم المكى فان هذا محض اختلاق اذمتوسط مقاس الحرم من الداخل الآن يبلغ ١٠٨٫٥٠ × ١٦٥٫٠٠ مترا ومقاس جامع ابن طولون من الداخل عدا الزيادة هو ١٤٢٫٣٥ × ١٢١٫٧٠ والفرق بينهما واضح

وقد احترق جزء من الزيادة البحرية فى سنة ٤٧٠ من الهجرة فجــدده بدر الجمالى . ونقش بالخط الـكوفى اربعة اسـطر على لوح رخام مقاسه ٢٫٧٠ × ٠٫٥٠ متر تاريخ التجديد وسببه فقال مانصه بعد البسملة وآية انما يعمر مساجد الله

« نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليــه معد ابى تميم الامام المستنصر بالله أمــير المؤمنين صلوات الله عليــه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين . امر بتجديد هذا الباب وما يليه عند عدوان النار على ما ابدعه المارقون فيــه السيد الاجل أمير الجيوش

(١) ابن دقماق ص ١٢٣ جـ ٤

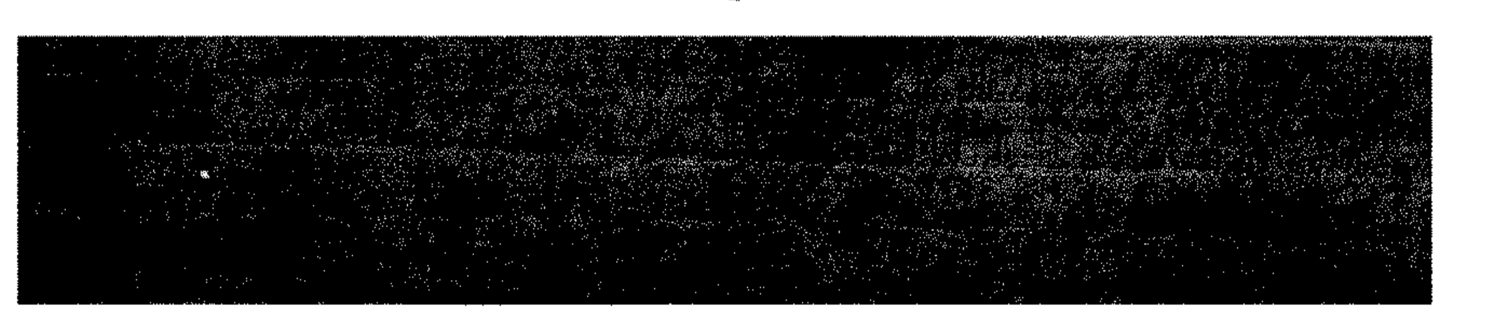
سيف الاسلام ناصر الامام ابو النجم بدر المستنصرى ادام الله قدرته واعلى كلمته ابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وذلك فى صفر سنة سبعين وار بعمائة والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين وسلم تسليما » — انظر اللوحة التاسعة —

وهذا اللوح ملصق من الخارج اعلى اول باب من بحرى شرقى وهو باق سليم لم يعتوره كسر ولا نقص . ومن العجب ان هذه العمارة بل وهذا الحريق لم يرد لهما ذكر فى كتب التاريخ الشهيرة

ولما تخرب الجامع عملت هذه الزيادة البحرية ورشة (معمل) للدوبارة . ثم بيعت الزيادة القبلية مع جزء من الزيادة الغربية . وقد شرعت لجنة حفظ الآثار فى استرداد هذه الاجزاء المباعة وتخلية الجامع من الابنية التى حوله وفقها الله لاتمام هذا العمل الجليل وذال لها المصاعب

وقد جعل ابن طولون بالزيادة الغربية ميضأة بناها بعد انتهاء بناء الجامع بدليل ماروا ابن عبدالظاهر وهو لما فرغ من بناء الجامع امر للناس بسماع مايقال فيه من العيوب . فقال رجل محرابه صغير . وقال آخر مافيه عمود . وقال ثالث ليست له ميضاة . فجمع الناس وقال «... واما الميضأة فانى نظرت فوجدت مايكون بها من النجاسات فطهرته

اللوحة التاسعة



صورة اللوح الرخام المنقوش عليه تاريخ سنة ٤٧٠ بجامع احمد بن طولون (رسم المؤلف)

منها وانا ابنيها خلفه ثم امر بينائها » (١) — اه — واظنها هى التى فى الجناح البحرى الغربى من الزيادة وبها ساقية . اماالميضاة التى فى الجناح الغربى القبلى فالذى بناها هو الحاج عبيد بن محمد الهويدى البازدار مقدم الدولة فى ايام السلطان برقوق .

قال المقريزى — « وجدد الحاج عبيد ميضاة بجانب الميضاة القديمة فى سنة ٧٩٢ من الهجرة » اه

وجعل ابن طولون فى هذه الزيادة الغربية خزانة شراب وهى التى ورد ذكرها فى صفحة ٧ من هذا الكتاب . وموجود على يسار المنارة مصلى وتربة الشيخ شرف الدين المدينى ومنقوش على قطعة خشب مركبة اعلى باب المقام مانصه بعد الآية القرآنية « انشا هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى العارف بالله تعالى سيدنا ومولانا الشيخ شرف الدين المدينى اعاد الله علينا من بركاته بتاريخ شهر رجب سنة ثلاثين وتسعمائة »

وعمل السلطان حسام الدين بجوار الجامع بالزيادة القبلية سبيلا ومكتبا فى سنة ٦٩٦ لاقراء ابناء المسلمين القرآن . وهذا المكتب هدم ولم يبق منه الا اجزاء من السبيل الذى كان تحته

« ١ » مقريزى ص ٢٦٧ ج ٢

١١ — الدعامات الحاملة للبوائك

عند ما اراد ابن طولون بناء الجامع قدر له ٣٠٠ عمود رخام فقيل له لاتجدها الا اذا ارسلت الى الكنائس فى الارياف والضياع الخراب فتحملها منها . فلم يشأ ذلك واستبدلها بالدعائم الآجر فاوجد بالجامع ١٦٠ دعامة و ١٨ نصف دعامة . فاذا قلنا ان كل دعامة محل عمودين وكل نصف بعمود كان الناتج ٣٣٨ وهو عدد الاعمدة التى كانت توضع بالجامع وهو قريب من التقدير . اما الآن فكل دعامة بها فى نواصيها اربع اعمدة بالآجر من نفس بناء الدعامة . فعدد هذه العمد الآجرية ٦٧٤ عمودا . ومقاس قاعدة كل دعامة ٢٫٥٠ × ١٫٣٠ مترا

وكان قد عمل بالرواق الكبير الشرقى خمس صفوف بوائك سقط صف منها وهو الذى بجانب الصحن فى سنة ١٢٩٢ الهجرية وعمل بكل من الاروقة الثلاثة المحيطة بالصحن صفى بوائك وهى باقية للآن عدا جزء من الجناح الغربى فانه سقط ولم يعد الى أصله

١٢ — ابواب الجامع

وقد عمل له ١٩ بابا ستة فى كل من الجنبين البحرى والقبلى. وخمسة فى الغربى واثنان فى الشرقى . ولما بنى الزيادة حول الجامع من وجهاته الثلاث عمل تجاه كل باب من هذه الابواب بابا . ثم جعل بابين فى منتصف نهاية الزيادتين البحرية والقبلية من شرق — ويغلب على الظن انه جعل امامهما بابين اخرين لان النظام الهندسى يقضى عليه بذلك . فتكون عدة ابوابه جميعا ٤٠ بابا .

١٣ — السبب فى بناء الجامع بالآجر

قال القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ ـ « وقيل ان أحمد بن طولون قال اريد ان ابنى بناء ان احترقت مصر بقى وان غرقت بقى . فقيل له يبنى بالجير والرماد (القصرمل) والآجر الاحمر القوى النار (المستوى) الى السقف ولا يجعل فيه اساطين رخام فانه لاصبر لها على النار .فبناه هذا البناء وجعله على شكل جامع سامرا وكذلك المنارة . (١) اه

(١) مقريزى ص ٢٦٧ ج ٢

— ولعل السبب فى طلب الامير ذلك هو ماروى عن قاسم ابن اصبع عن احمد بن زهير عن هرون بن معروف عن ضمرة الشيبانى قال تهلك مصر غرقا اوحرقا . (١)

وكما ان هلاكها سببه زيادة النيل فكذلك نقصانه لما روى الليث بن سعد عن يزيد بن ابى حبيب عن سالم بن ابى سالم عن عبدالله بن عمرو قال : انى لاعلم السنة التى تخرجون فيها من مصر . قال فقلت له مايخرجنا منها يا ابا محمد ؟ اعدو ؟ قال لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل وتاكل سباع الارض حيتانه . (٢)

١٤ — مافعله الامير مع العمال اثناء العمارة

رأى الامير الصناع يبنون فى الجامع قبل الغروب فى شهر رمضان . فقال متى يشترى هؤلاء الضعفاء افطارا لعيالهم واولادهم ؟ اصرفوهم العصر . فصارت سنة الي اليوم بمصر (القرن التاسع الهجري) .

ولما مضى الشهر قيل له قد انقضى شهر رمضان فيعودون الى

(١ و ٢) مقريزى ص ١٣٦ و ١٣٧ ج ٢ طبعة المليجى

رسمهم . فقال قد بلغنى دعاؤهم وقد تبركت به وليس هذا مما يوفر العمل علينا . (١)

١٥— مافعله الامير عند افتتاح الجامع

لما انتهى الجامع من العمارة نقل اليه القراء والفقهاء وصلى فيه القاضى بكار بن قتيبة . ودرس فيه الربيع بن سليمان حديث « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً فى الجنة » وبعد صلاة الجمعة الأولى جلس محمد بن الربيع خارج المقصورة وقام المستملى وفتح بابها وجلس الأمير لسماع الدرس والغلمان وسائر الحجاب قيام حتى انتهى المجلس . ثم ارسل الأمير غلاما ومعه الف دينار الى ابن الربيع وقال له : يقول لك الأمير نفعك الله بما علمك وهذه لابى طاهر يعنى ابنه . وقد تصدق أيضاً بصدقات عظيمة وعمل طعاما للفقراء والمساكين .

وقد تقرب الناس بالصلاة فيه والزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة فى فوارة الجامع ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع ليكتبوا العلم

(١) مقريزى ص ٢٦٧ ج ٢

ومع كل واحد وراق. وعدة غلمان .

ثم نزل الأمير فى الدار التى عملها فيه للامارة (خلف القبلة) وقد فرشت وعلقت فيها القناديل وحملت اليها الآلات والأوانى وصناديق الاشربة وما شاكلها فجدد وضوءه وغير ثيابه وخرج من بابها الذى بجدار الجامع بجوار المنبر (باق للآن) الى المقصورة فركع وسجد شكراً لله تعالى على ما اعانه عليه من ذلك ويسره له. فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى اشرف على الفوارة وخرج الى باب الريح فصعد المهندس الى جانب المركب النحاس وطلب الأمان والجائزة كما قدمنا .

ولم تزل هذه الدار ينزل بها الأمراء الى أيام المعز لدين الله الفاطمى فكان يجبى فيها الخراج ثم خربت فيما خرب من القطائع . فلما بنيت القاهرة جعلت دار الأمارة بها فى القصر الكبير الشرقى .

١٦ — رؤيا الامير احمد بن طولون

ويقال ان ابن طولون رأى فى منامه رؤيتين . الأولى فى أول الليل والثانية فى آخره فاصبح متألما منهما . فجمع العلماء والمعبرين.

يقص عليهم ماراآه قال : رأيت نورا سطع حتى ملأ حول هذا الجامع ولم يقع على الجامع منه شيء . واقسم انى مابنيته الا لله خالصا ومن المال الحلال الذى لاشبهة فيه . ورأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له . اين اموت واين ادفن ؟ فأشار بيده هكذا وأشار باصابعه الخمسة . فقال رجل من قضاعة وكان شيخا كبيرا حاذقا : هذا الجامع يبقى ويخرب كل ماحوله . فقال الأمير وما دليلك ؟ قال قوله تعالى. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . فكل ماعلاه النور يصير كالجبل دكا . وقال النبى عليه السلام اذا تجلى الله لشيء خضع له . واما اشارة الرسول صلى الله عليه وسلم فانه قال لك هذه خمس لايعلمهن الا الله . ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت . فاعجب ابن طولون هذا التعبير وأمر له بمائة دينار فأبى اخذها وقال فقر وغنى لايجتمعان . (١) اه

وقد صح تعبير الرؤيا فان جميع ماحول الجامع خرب دهرا طويلا وبقى الجامع عامرا ثم عمر ماحوله حتى كان خلفه مصطبة ذراع فى ذراع اجرتها يوميا ١٢ درهما فى بكرة النهار لتاجر غزل وفى الظهر لخباز والعصر لبائع حمص وفول .

وقيل لما فرغ من بناء الجامع رأى فى منامه كأن نارا نزلت

(١) المقريزى والسخاوى

من السماء فأخذت الجامع دون ماحوله . فلما اصبح قص رؤياه فقيل له ابشر بقبول الجامع لأن النار كانت فى الزمن الماضى اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء فاخذته . ودليله قصة قابيل وهابيل

١٧ — عمارة الحافظ لدين الله

وفى سنة ٥٢٦ عمل بالجامع عمارة الخليفة الحافظ لدين الله عبد المجيد على يد القاضى سراج الدين نجم بن جعفر ونقش تاريخ العمارة ١٤ سطرا على لوح خشب كان موجودا بالجامع وعاينه الفرنساويون ودونوه فى كتابهم ولم اعلم ماتم فى امره بعدهم . وهاك نص الكتابة السليمة التى امكننى قراءتها من الكتاب المسطور بعد البسملة « مما امر بانشائه عبد الله ووليه مولانا وسيدنا عبدالمجيد ابى * الميمون الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين * على يد عبده ومملوكه القاضى المؤيد سراج الدين على .. المحـ .. ـين .. المؤمنين .. لامام عمدة الاحكام .. اطال الله جلاله وخلد .. وكماله .. .. الخلافة العلوية الحافظية درا * لما ر .. والعامل ولى امير المؤمنين

ابو . . . بن جعفر . . الله . . وعشرين . . شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة » وهذا القاضى ترجمه ابن حجر فى كتابه رفع الاصر قال : نجم بن جعفر سراج الدين ابو الثريا الاسماعيلى مذهبا ولاه الحافظ العبيدى قاضى القضاة وداعى الدعاة فى يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ فلم يزل حتى قبض عليه وقتل فى ٨ شوال سنة ٥٢٨ . اھ

ومن الغريب لم يذكر المؤرخون هذه العمارة . ويظهر انه اعقبها الخراب لانه لو اضيف اليها مدة الخراب التى ذكرها ابن اياس وقدرها ١٧٠ سنة كان الناتج سنة ٦٩٦ هى تاريخ تجديده على يد لاجين .

١٨ — اول جعل الجامع مأوى للغرباء (تكية)

لما حصل الغلاء المستنصرى وتخربت القطائع والعسكر تخرب الجامع وما حوله وتوالت الايام عليه حتى صار مأوى للمغاربة الحجاج تنزل فيه بأباعرها ومتاعها عند ماتمر بمصر أيام الحج .

قال ابن جبير فى رحلته : — وبين مصر والقاهرة المسجد

الكبير المنسوب الى ابى العباس احمد بن طولون وهو من الجوامع العتيقة الانيقة الصنعة الواسعة البنيان جعله السلطان (صلاح الدين يوسف بن ايوب) مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه واجرى عليهم الارزاق فى كل شهر . ومن اعجب ماحدثنا به احد المتخصصين منهم ان السلطان جعل احكامهم اليهم ولم يجعل يد لاحد عليهم فقدموا من انفسهم حاكما يمتثلون امره ويتحاكمون فى طوا ى • امورهم عنده واستصحبوا الدعة والعافية وتفرغوا لعبادة ربهم ووجدوا من فضل السلطان افضل معين على الخير الذى هم بسبيله . اه

---

١٩ — تجديد الجامع فى عصر لاجين وما بعده

قلنا فيما سبق ان الجامع تخرب وصار مأوى للغرباء المغاربة ينزلون فيه بأباعرهم وقت الحج واستمر خرابا حتى أراد الله جل جلاله عمارته فوفق له الامير حسام الدين لاجين المنصورى — وذلك انه اختفى فيه من فتنة اتهم فيها بقتله الملك الاشرف خليل بن قلاون سنة ٦٩٣ وصار يتردد فيه بمفرده وهو حينئذ خراب

لاساكن فيه . واعطى الله عهدا ان سلمه الله من هذه المحنة ومكنه فى الارض جدد عمارة هذا الجامع فقدر الله ذلك وتسلطن فى المحرم من سنة ٦٩٦ فعين الامير سنجر البرنلى ابا موسى الدوادار التركى الصالحى النجمى شادا لعمارة الجامع وفوض اليه امره وأكد عليه ان لا يسخر فيه فاعلا ولا صانعا وان لا يستحث الصناع ولا يشترى شيأ للعمارة الا بالقيمة التامة وان يكون ماينفق على ذلك من ماله . فعمر الجامع وازال كل ما كان فيه من تخريب و بلطه و بيضه وسقفه وجدد المحراب والمنبر والقبة وانشأ سبيلا ومكتبا ـ الى غير ذلك ـ ولما تم تعميره رتب فيه دروساً للفقه على المذاهب الاربعة والتفسير والحديث والطب . وقرر مرتبا للخطيب والامام والمؤذنين والفراشين والقومة وغير ذلك من انواع القربات . و بلغت النفقة على الجامع والاعيان التى اوقفت عليه عشرين الف دينار . (١)

وقال ابن دقماق انه قرر به وقفا يختص بالديكة تكون بسطح الجامع فى مكان مخصوص لتعين المؤذنين على الاوقات وضمن ذلك كتاب الوقف (٢) . اه ولكن ابا المحاسن نفى هذا الوقف فقال فى المنهل فى ترجمة سنجر المذكور انه لما قرئ كتاب الوقف على السلطان اعجبه الا الديكة فانه امر بابطالها لئلا يضحك الناس عليهم اه .

(١) مقريزى ص ٢٦٨ ـ ٢

(٢) ابن دقماق ص ١٢٤ ـ ٤

ويظهر انه استبدل ذلك بساعات شمسية (مزاول) فقد عثر الفرنساويون على بقايا مزولة كانت بالجامع منقوش على احد اضلاعها مانصه : « . . . بعمل هذه الساعات بالجامع . . معروف باحمد بن طولون تغمده الله برحمته في سنة ٦٩٦ » — راجع الخطط الفرنساوية —

ولما تكلم السيوطى على هذا الوقف فى كتابه حسن المحاضرة لم يقره . وقال انه كان بالقاهرة فى سنة ٧٢١ حريق كبير متتابع ودام اياما فى اماكن واحرق هذا الجامع وما حوله

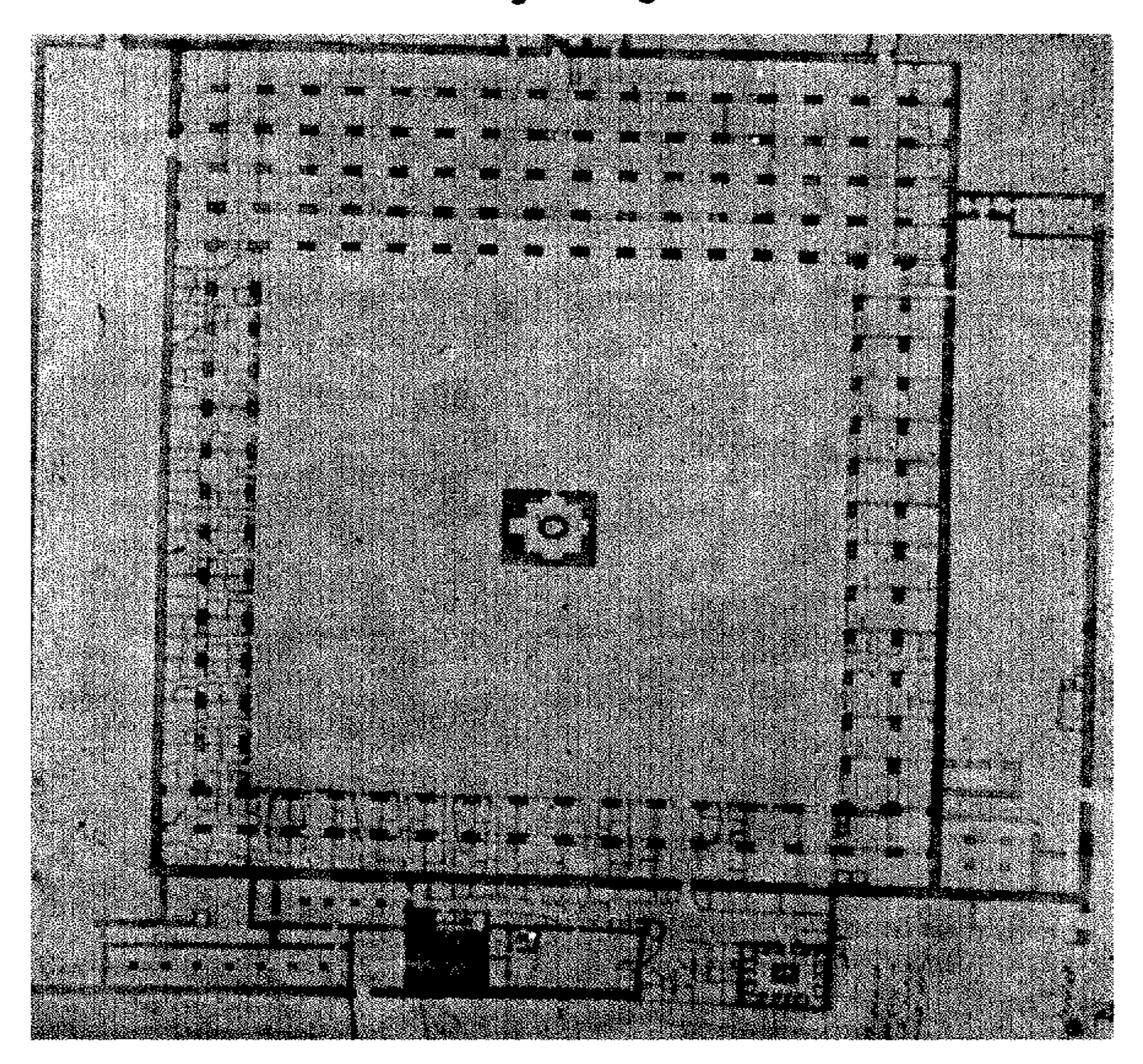
وفى سنة ٧٦٧ جدد الامير يلبغا العمرى الخاصكى درسا فيه سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه من الطلبة فى الشهر ٤٠ درهما واردب قمح فانتقل جماعة من الشافعية الى المذهب الحنفى .

وفى سنة ٧٩٢ جدد الرواق البحرى (الايوان الغربى) الملاصق للمئذنة الحاج عبيد بن محمد الهويدى البازدار .

وقد تداولت عليه الايام تارة بالاصلاح والتعمير وطورا بالخراب حتى عمل فيه معمل (وزشة) لعمل الاحرمة الصوف فى اواخر القرن الثانى عشر الهجرى . ثم اتخذ تكية للفقراء فاورثوه خرابا وتقذيرا ونتنا وجعلوا فيه عششا واوكارا كما يرى فى اللوحة العاشرة التى رسمت سنة ١٣٠٥ من الهجرة

وصار المستعمل للصلاة من هذا الجامع جزء صغير بالرواق الكبير

اللوحة العاشرة



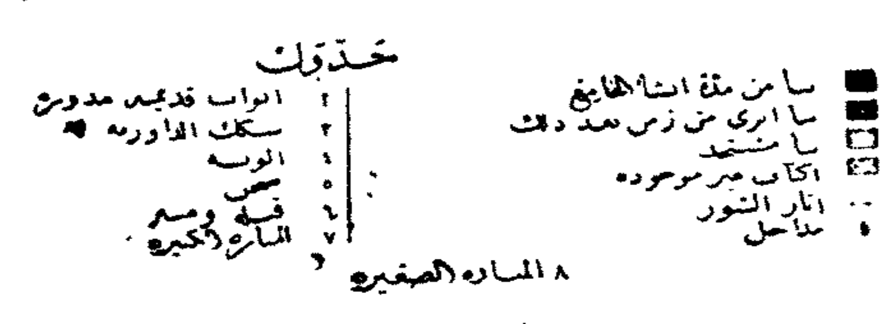
مسقط افقى عن جامع احمد بن طولون قبل الاصلاح

(من محفوظات اللجنة)

اللوحة الحادية عشرة

١٠٥ انظر التقرير نمرة ٧٨

رسم جامع طولون بقلعة الكبش بالقاهرة



جامع احمد بن طولون

مسقط افقى عن الجامع بعد الاصلاح (من مجموعات اللجنة)

تبلغ مساحته ٧٧٫٥٠×٢٦٫٠٠ مترا ثم سقط حبل البوائك الشرقية الصحن فى سنة ١٢٩٢ كما سبق ذكره . واستمر خرابا حتى جاءت لجنة حفظ الآثار فاصلحته كما يأتى .

وقد جاء في الخطط التوفيقية ص ٤٨ ج ٤ ان طول الجامع من احدى جهاته ٨٠٫٠٠ مترا ومن جهة اخرى ٧٦٫٠٠ مترا فمساحته ٦٠٧٠٫ مترا (٦٠٨٠) وهو اقل من نصف مساحة جامع عمرو . اه والحقيقةان مقاس الجامع والزيادة هو ١٦٢٫٢٥[٢] فمساحته ٢٦٣٢٥٫٠٦ مترا مربعا وهو اكثر من جامع عمرو بقدر ١١٩٢٥٫٠٠ مترا

٢٠ — اعمال لجنة حفظ الآثار بالجامع

وقد هيأ الله لاصلاحه لجنة الآثار فهدمت كل العشش ورمت بعض المبانى المتداعية من الحيطان والدعائم والمنبر والقبة والمنارة الكبرى و بيضت مايلزم تبييضه وجددت السقف و بعض المناور الجص والقبة الصغرى و باطت بعض اجزاء مهمة به الى غير ذلك من الاعمال الشاهدة لها بالفضل الناطقة لها بالشكر على الدوام فاصبح الجامع نظيفا من جميع الادران التى كانت به وهو الآن كما ترى فى اللوحة الحادية عشرة وبها تمت المحاضرة

كلمة شكر

لما شرعت فى طبع هـذه المحاضرة احتجت الى نشر بعض صور فوتوغرافية عن حالة الجامع ومسقطه الافقى قبل اصلاحه

ولما كانت هذه الصور لاتوجد الا فى مجموعة الرسوم الفوتوغرافية بلجنة حفظ الآثار العربية فاوضت فى ذلك جناب مسيو باتريكولو المفتش القائم بالاعمال الهندسية باللجنة فاجازنى بمزيد الارتياح باخذ مايلزمنى . وقد خص هذه المحاضرة منها اللوحات الاولى والسادسة والعاشرة

وانى اشكر جنابه جزيل الشكر واملى ان أكون اديت شيئا من الخدمة العمومية بما نشرته وما سأنشره فيما بعد بعون الله تعالى

هيئة لجنة حفظ الآثار العربية

تشكلت لجنة حفظ الآثار العربية بامر عال فى ٢٦ من المحرم سنة ١٢٩٩ هـ وتنعقد جلساتها برئاسة حضرة صاحب المعالى وزير الاوقاف العمومية . وفى حال غيابه ينوب عنه حضرة صاحب السعادة وكيل الوزارة . واعضاؤها يعينون بموجب ارادة سنية وتنحصر اعمالها فيما يأتى

اولا — اجراء اللازم لجرد وحصر الآثار للعربية القديمة التى يكون فيها فائدة صناعية اوتاريخية

ثانيا — ملاحظة صيانة تلك الآثار ورعاية حفظها من التلف واخبار نظارة الاوقاف بالتصليحات والمرمات المقتضى اجراؤها فيها مع ايضاح المهم منها

ثالثا — النظر فى الرسومات والتصميات التى تعمل عن المرمات اللازمة لهذه الآثار والتصديق عليها وملاحظة اجراء تلك المرمات

رابعا — اجراء حفظ رسومات جميع الاشغال التى تنتهى بكتبخانة الاوقاف واعلان النظارة المذكورة عن القطع التي تتخلف عن العمارة ويلزم نقلها للانتيكخانة لاجل حفظها بها .

وتتكون اعضاؤها كما يأتى :

رئيس شرف

حضرة صاحب السمو الامير محمد على (١٩١٣)

رئيس

حضرة صاحب المعالى ابراهيم فتحى باشا وزير الاوقاف (١٩١٤)

نائب الرئيس

حضرة صاحب السعادة محمد شفيق باشا وكيل وزارة الاوقاف (١٩١٣)

التعيين سنة ميلادية	الاعضاء بحسب الاقدميه
١٨٨٢	حضرة صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا ـ وكيل المعارف سابقا
١٨٩٦	« « العزة حنابك باخوم ـ وكيل دائرة حضرة صاحب السمو الامير يوسف كمال
١٩٠٠	« « السعادة ابراهيم نجيب باشا ـ ناظر الاوقاف سابقا

١٩٠٠ حضرة صاحب العزة على بك بهجت ـ امين دار الآثار العربيــة

١٩٠٦ « « السعادة مرقص سميكه باشا ـ عضو بالجمعية التشريعية

١٩٠٧ « « السعادة محمود باشا فهمى ـ باشمهندس وزارة الاوقاف سابقا

١٩١٠ جناب مستر فرنــل ـ عضو بقومسيون صندوق الدين

١٩١٠ حضرة صاحب العزة احمد بك عمر ـ باشمهندس مصلحة التنظيم

١٩١٢ « « السعادة عمر سلطان باشا ـ من اعيان القطر

١٩١٢ جناب مسيو بيير لاكو ـ مدير مصلحة الآثار التاريخية

١٩١٢ جناب المستر مردوخ مكدونالد ـ وكيل وزارة الاشغال

١٩١٣ حضرة صاحب السعادة احمد زكى باشا ـ سكرتير مجلس الوزراء

١٩١٣ جناب مستر هزول ـ مراقب مصلحة التنظيم

١٩١١ « « فرث ـ من المشتغلين بالآثار

١٩١٥ حضرة صــاحب المعالى اسماعيــل صرى باشا ـ وزير الاشغال والحربية

١٩١٥ حضرة صاحب المعالى عدلى يكن باشا ـ وزير المعارف

١٩١٥ حضرة صاحب السمو الامير يوسف كمال

١٩١٥ جناب مسيو دارسى ـ السكرتير العام بمصلحة الآثار التاريخية

١٩١٥ جناب مستر رونالد ستورس ـ السكرتير الشرقى بدار الحماية

هذا عدا احد عشر عضوا وسكرتيرا وكلهم اعضاء شرف منهم حضرة صاحب السعادة عبد الحليم باشا عاصم ناظر الاوقاف سابقا . اما الباقون فمن الاجانب المقيمين خارج القطر

فهرست الكتاب

فهرست الكتاب

تمت